جديد من قديم

زواج ملكي غريب

من التاريخ

أرنست دوديه مؤرخ بحاثة لا يجارى روى لنا في كتابه (*tragédies et comédies de l'histoire*) عن معيشة غوستاف الثالث ملك اسوج ما يأتي :

في شهر فبراير من عام ١٧٧٦ توفي فجأة ملك أسوج أدولف فريدريك بعد ان جلس على عرش الملك اعواماً عديدة فتولى الحكم بعده ابنه الاكبر وولي عهده غوستاف وكان لدى وفاة والده في باريس لانجاز مهمة سياسية ارسله بها والده المذكور . وفي أواخر ايام الملك المتوفي تداخلت كثيراً في ادارة الاحكام زوجته الملكة لويزا أورليكا شقيقة ملك بروسيا ولبثت طويلا بعد وفاة زوجها تتدخل في شؤون البلاد الخارجية والداخلية . ولما تبوأ ولي العهد عرش والده كان له من العمر خمسة وعشرين عاماً ولقب بغوستاف الثالث . وبناء على طلب والدته وتحريضها تزوج باحدى بنات ملك الدنمرك المدعوة صوفيا مادلينا .

وقد رمى الملك بهذا الزواج الى اغراض سياسية ولكنه أي الزواج غدا وسيلة لاضطراب البلاط الملكي وموضوع استغراب الموجودين فيه ـ ذلك ان الملك لم يشعر بعطف نحو زوجته ولا ميل اليها فلم يقرب منها ولم يعرفها وسار على هذا المنوال مدة طويلة حتى أن الموجودين في البلاط اطلقوا على الملكة فيما بينهم اسم « الملكة المتبتلة » . ومن جهة أخرى فان الملك لم تخطر بباله أفكار رديئة من جهة الملكة يدل على ذلك الكتاب التالي الذي كتبه الملك الى مربيه واستاذه

« يظهر لي اني وجدت زوجة مناسبة جداً . وجمالها كاف لأن تكون مقبولة ، وهي عاقلة جداً لانها لا تتدخل في اعمالي الخاصة ولا تقلق راحتي من هذا القبيل . نعم أني لا احبها لحد الجنون والتدلة . وهي على جانب عظيم من الآداب واللطف ومكارم الاخلاق وبذلك ترغمني على احترامها واجلالها »

ومع هذا فان الملك لبث متباعداً عن العيشة الزوجية ولم يقرب زوجته مطلقاً .

وقد وجهت والدته التفاته مراراً الى ضرورة ايجاد النسل كما انها كتبت الى أخيها تشكو له من أمر هذا الزواج الغريب فأجابها أخوها بقوله

« لا تخافي ولا تجزعي أيتها الشقيقة العزيزة ! من أن ابنك لا يكون له نسل لأن الطبيعة البشرية ستجري في مجراها . يقولون ان الملكة ذات قوام جذاب وجميلة ايضا ولذلك فاني ارجح بأن الحب لا ينتظر طويلا ولا يتزوجون المرأة حباً بعقلها . وعن قريب سيسير ابنك وراء مطالب الحب »

ومع هذا فقد لبث هذا الزواج مدة بلا ثمر وأخذت الاشاعات الباطلة تنتشر عن هذا الزواج الغريب عمت جميع انحاء البلاد . وأخذ رجال المملكة وأقطابها يحومون حول شقيق الملك ويتقربون منه وهمس كثيرون في اذنه بأنه لابد له عن قريب من الجلوس على عرش أبيه . وقد أخذت هذه الاخبار في الظهور حتى بلغت مسامع الملك فاضطرب وتأجج فؤاده بنار الحسد وخاف على ملكه من الضياع ورجح بأنه لابد من حدوث انقلاب عظيم في المملكة . وفي خلال هذه الحوادث كان حاجب الملكة المدعو مونك قد تمكن من الحصول على ثقة الملك فأخذ يحثه ويلح عليه ليعيش مع الملكة عيشة الزوج مع زوجته وقد طالت هذه المفاوضات زمنا طويلا وبعد هذا تبادل الزوجان الرسائل الودية المملوءة بالعواطف الشريفة وتمكن بعد هذا حاجب الملكة من احضار الملك الى الجناح الذي تقيم فيه الملكة وقد انتشر نبأ ذلك في جميع انحاء البلاد وبعد عدة اشهر اجتمع في القصر عدة من الأطباء المشهورين وبعد الكشف على الملكة بشروها بأنها ستغدو اماً في العاجل القريب حيث تقر عينها بمولود

وبين هذا وذاك كانت والدة الملك وابنها الصغير الذي ملأت أفكاره مسألة الجلوس على العرش واصبحت شغله الشاغل يدسان الدسائس ويشيعان الاشاعات التي أثرت في الرأي العام ومما أشاعاه أن حاجب الملكة مونك غدا في العهد الاخير ذا حظوة خاصة عند الملكة وانها اهدته ساعة ثمينة مرسوماً على غلافها

صورتها المزدانة بثلاثة خطوط من الحجارة الكريمة كما اهدته سلسلة من الذهب الخالص دقيقة الصنع . وجميع هذه الهدايا اضحت سببا للقيل والقال وازدادت انتشاراً بين الناس حتى افضى الأمر الى ان اهل البلاط اخذوا يقولون ان المولود العتيد ليس ابنا للملك

وتظاهرت والدة الملك بأنها مصدقة لتلك الاشاعات وبناء على اعتقادها هذا ابلغتها للملك على علاتها . غير ان الملك دافع عن طهارة زوجته بكل ما اوتي من قوة وهدد والدته باتخاذ الوسائل الفعالة ضدها اذا لبثت ترديد هذه الاشاعة الصادرة من دسائس اهل البلاط . وقد افضى هذا الى قطع العلاقات بين الملك ووالدته التي خرجت من القصر غاضبة وقصدت احدى الضواحي حيث اقامت منفردة .

وبين هذا وذاك ولدت الملك غلاما صبوحا ولكن الاشاعات المار ذكرها كانت تقضي باثبات شرعية المولود الجديد . وكان الجمهور يحاول عبثا الاعتراف بشرعية ولي العهد الذي ظهر فجأة بعد زواج والده بعشرة اعوام وكثيرون كانوا يجاهرون علنا بعدم شرعية الغلام وقد بلغ ذلك جميعه مسامع الملك الذي لم يجد بدأ من عقد مجلس المملكة العام الذي اشترك فيه افراد الاسرة المالكة ومستشار المملكة والوزراء وكبار رجال الجيش وقد اعلنت والدة الملك في هذا الاجتماع بصراحة : « انه ليس لديها أدنى شك في شرعية ولي العهد وان جميع ما قيل ويقال عن شرف الملكة لا يتعدى حد الدسائس الدنيئة » ومع اعترافها هذا الصريح فانها لبثت تعتقد بنظريتها السابقة ولذلك فقد ابتعدت عن البلاط وقضت بقيه أيام حياتها منفردة وحدث أنها مرضت مرة مرضا شديدا شعرت بأنها لا تقوم منه ووجدت وهي على فراش الموت ان تكتب لابنها الملك الخطاب التالي :

« أنا أم ولا استطيع أبدأ ان انزع هذا من قلبي . انني كنت دائما أبدا اهتم بسعادتك . وانني ارجو انه سيأتي يوم تزول عن عينيك تلك الغشاوه وترى الحق بنفسك . اذ ذاك تقول ان الحق مع والدتي وتندم على تلك القساوة التي عاملتها بها »

وقد اهاج هذا الخطاب عواطف الملك ولكن ايمانه لم يتزعزع بالملكة . وقطع كل علاقة بوالدته حتى انه لم يزرها عند ما ماتت . . . .

واما ابنه الذي حامت حوله الريب فانه جلس بدوره على عرش أسوج باسم غستاف الرابع . آه

عيد الجلوس المأنوس

وافق يوم الجمعة ١٨ اكتوبر الماضي عيد جلوس مولانا صاحب الجلالة مليكنا المحبوب فؤاد الاول على اريكة مصر فاحتفلت به مصر من ادناها الى اقصاها واقامت الأمة الزينات الباهرة والاحتفالات الزاهرة فلبست البلاد برمتها حلة من البهاء والزواء مما جعلها بهجة للانظار وكل ذلك يدل دلالة واضحة على ما تكنه القلوب لعرش مصر الذي تعده رمز كيانها وعنوان استقلالها وترى فيه معقد آمالها ومحط رحال امانيها والممثل لنهضتها

والاخاء بهذه المناسبة ترفع فروض التبريك والتهاني للجالس على عرش مصر محيي الآمال ومشجع الاداب ومنشط العلوم وناشر لواء العدل والانصاف فوق ربوع البلاد ونسأل الله جلت قدرته ان يصونه ويحفظه مع سمو ولي عهده الامير فاروق ما كر الجديدان واشرق التيران وتحلي جيدها بتلك القصيدة الخريدة التي نظمها شاعر مصر الكبير صاحب العزة حافظ بك ابراهيم وتلاها بين يدي جلالته في الحفلة الكبرى التي اقيمت في الاسكندرية اجلالا لعيد الجلوس المأنوس وهي :

ارأيت رب التاج في عيد الجلوس وقد تبدّى
وشهدت جبريلا يمـــد عليه ظل الله مدا
ونظرت تطواف القلو ب بساحة العرش المفدى
وسمعت تسبيح الوفو د بحمده وفداً فوفدا
هذا ابن اسماعيل رب النيـــل مَن أغنى وأسدى